الحياة تتجدد

مجموعة قصصية

سعد أبو الرضا

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

كافة الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

" الحياة تتجـــدد " حاملة الأمل والبهجة والسعادة ، للفرد والمجتمـــع والأمـــة ، من ثم فالتفاؤل يجعلنا نربط المتغيرات بنتائجها آملين تحقيق الخـــير والســـعادة .. فهل يتحققان ؟ وما وسائلهما ؟ ، وكيف يُسعد الإنسان أخاه ، .. وكل من يحب ...، ومن لا يحب .!

سعد أبو الرضا

الحياة تتجدَّد

عاد رشيد ليلاً ، بعد غياب طويل ، وقد تخرج في الكلية الحربية ..، في الطريق إلى قريته كفر عاصم بفلسطين ، أخذ يمني نفسه بحياة هادئة وادعـــة في منزلهـــم الكبير ، بحديقته الواسعة ذات الأشجار المتنوعة ، والـــثمار المتباينة ، الزيتون والبرتقال والكروم ... ، تلك الحديقة التي تضـــم مجموعة من الأزهار المتعددة الألوان ، والورود المختلفة الروائح العطـــرة ، التي كانت تنتشر في أرجاء القرية الهادئة الوادعة في حضن الجبل ..، وفي ركن قصي من هذه الحديقة ، يوجد برج الحمام المرتفع الذي يضم عشرات الأزواج منه ؛ ترتع وتلعب ، بينما تتمتع العصافير بحياة هنيئة مع أشجار هذه الحديقة ، .. وكم كانت الأسرة كلها تهتم برعايتها وتشذيبها وتنسيقها ، خاصة والده ....

لكـــن رعدة مفاجئة قد سرت في جسده ، .. إذ لم يجد سوى بقايا جـــدران متهدمة ، وآثار أشجار مقصوفة ومتفحمة ، ومخلفات نوافذ وأبواب محترقة ..، .. وريش متناثر هنا وهناك قد تعلق به بعض أجزاء من أجسام الحمام والعصافير المتيبسة ... المتغيرة اللون والرائحة .....، أدرك أنه أخطأ الطريق إلى بيته ، الذي نشأ فيه ... ، وتربى بين أحضانه

فتوجه شمالا ... أين المسجد بمئذنته العالية ؟ التي كانت تضاء كل ليلة .. ؟ وينطلق منها الآذان للصلوات الخمس ، فيدوي بأرجاء القرية ..، وأين قبته الشهيرة ، ذات اللون الأخضر تشبها بقبة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلـــم في المدينـــة المنـــورة ، ... إذن ليس هذا مكان منزلهم ! ... وربما لأن الوقت ليل ، فالظلام قد يخفي كثيرا من المعالم ، ... فعاد يسير نحو الجنوب ...

تذكـــر أنه بعد خطوات جنوب منزلهم وحديقته ، توجد بقالة عم علي بحانوته المتميز ذي اللون الأبيض ، ولافتته التي كتب عليها بقالة " الحـــاج عـــلي وأولاده " ... ، الذين كانوا يرافقونه في مدرسة القرية الابتدائـــية ، ... إن أبناء القرية يجدون في هذه البقالة مختلف حاجاتهم ... فأين هذه البقالة ؟

لكنه وجد جدارها الخلفي الذي كان مجاوراً للحديقة غير موجود ... ، بـــل لقـــد تصدع تقريباً النصف الخلفي لهذا الحانوت ، ... ولا يوجـــد بـــه سوى أرفف متهدمة شاغرة ... ! عاد يحدق في لافتة المحل البيضاء فهي موجودة بما قد كتب عليها تقريباً ... فازداد قلقه ..

أخـــذ يتلفت في كل الجهات عله يجد من يزيل خوفه وشكه ... فلا يجد أحدا ....

بدا من بعيد شبحان ، توجه إليهما .... ، لكنهما اختفيا سريعا ، ... ، لم يمنعه ذلك من محاولة التحديق ... والتثبت ... والبحث عنهما .. ! .. ، إذا كانا شخصين من أهل القرية ... فلابد أنهما سيتعرفانه ، .... ، .... ودارا من بعيد حول المكان الذي يوجد فيه دون أن يراهما ، أصبحا قريبين منه ... ، عرفاه تقريبا ... ، وعندما تأكدا منه ظهرا له سريعا .... ،

احتضـــنه أحدهمـــا ... إنه منتصر الابن الأكبر للعم علي ، زميل المـــرحلة الابتدائـــية ، ... أشياء صلبة تحت ملابس منتصر اصطدمت بجسم رشيد .. لكنه سأله سريعا وبلهفة :

- أين منزلنا ؟ ... أين أبي وأمي وأخي وأختي .. ؟ وجدتي .....؟
- أبـــوك رجل عظيم ... ! قاد عملية فدائية قضت على إحدى سيارات الصهاينة بمن فيها، وألهت على هذه الدورية بكاملها ، فانتقموا من القرية ... هدمـــوا بالطائرات كل هذه المنطقة ... هدموهـــا على من فيهـــا .... ! هاجمـــوا القرية مستخدمين

اليورانيوم المنضب ... فأصابوا الكثيرين ... إصابات مدمرة ...

- أبي قتل ... ، ماتوا .... هدموا منطقتنا ... وسالت الدموع من عينيه ... ! إنّا لله ... وإنا إليه راجعون ... أوغاد ... قتلة ... سفاكون ... لكنني سأنتقم منهم ... وسأعيد بناء ما هدموه ..!
- ونحن لن نتركهم ... إن المنظمة سترد بعنف عليهم ؛ وها نحن متوجهـــان ضمن سلسلـــة من الكمـــائن والعمليات للانتقام لشهدائنا ....

ووجـــد رشـــيد نفســـه منضما إليهما لإتمام العملية الانتقامية التي سيقومان بها ضد الصهاينة . ،

الله أكبر .....

بعد حرب الأيام الستة سنة ١٩٦٧م ، ... وجدنا أنفسنا مائة وخمسين أسيرا في عنبر لا يتسع لنصف هذا العدد ، بأحد السجون التي أنشأها اليهود بسيناء ، ... قيل لنا إن هناك مفاوضات تجري تحت إشراف الصليب الأحمر الدولي لتبادل الأسرى بين المصريين واليهود ... ، لكن متى يتم إطلاق سراحنا . ؟

ضقنا جميعا بهذه الحال التي تنسي الإنسان آدميته ، .... ، هجر النوم عيوننا ، برغم ما نشعر به من إعياء وإجهاد . ، فالفراش الذي يغطي الأرض للنوم أو الجلوس متهرئ تغلب عليه فتحاته التي تكشف عن خشونة الأرض .

أما الطعام وما أدراك ما الطعام ! ... حينما يفتح باب العنبر فجأة يدلف منه شخصان ممتلئان يحملان بين أيديهما وعاء كبيرا هو أقرب ما يكون إلى فتحة بئر خربة ، .... أو صهريج أسود مهجور ، يترك وسط العنبر ليتزاحم عليه من استبد بهم الجوع ، ... فينظرون إلى ما بداخله ، فلا يميزون أي نوع هو ... ،

أهـــذا شـــيء يؤكل ... ، أم غير ذلك ... ؟ من ثم فما أكثر من يعـــودون أدراجهـــم ، دون أن يتجاوز ما قدم إليهم في هذا الإناء أعينهم إلى أفواههم ...

نقضي حاجتنا بصعوبة شديدة ... نتزاحم على مكان لا يتسع إلا لفـــرد واحـــد لقضاء حاجته ، كثيرون منا تعسرت أمعاؤهم ، وأصابها الإمساك قرفا ... وضيقا ...

قبـــيل الفجر يستدعي بعض الأسرى لاستجوابهم ، والتحقيق معهم ... فيعودون صفر الوجوه ... عابسين .... لا ينطقون ، ... وقـــد يقذفون من باب العنبر على نقالة للمرضى ... ، فتستقبلهم الأرض الخشنة ، وإذا ما حاول أحد أن يلتقط منهم كلمة واحدة ، تكشـــف عن شيء خارج هذا العنبر اللعين ... فلا يجد منهم أي حركة ... !

هكـــذا وجد الجميع أنفسهم مضربين عن الطعام ... ! برغم الجوع الشديد فالموت خير من هذه الحياة التعسة ... البغيضة ... ! ... وقد جيء بأحد الخاخامات ليعظنا ويهدئ من ثورتنا ... فأخذ يقول :

" العـــرب والـــيهود أبناء عمومة .. ، ومن ثم يجب أن نتفاهم ونـــتحاب ، ونـــترك البغضاء والشحناء والثورة ، .... ونعيش في أمـــان ... طاعة لله ... " وانتهى الوعظ قابلناه جميعا ، بالسخرية والابتســـامات المتهافـــتة المتبادلة بيننا ... برغم ما نحن فيه من هم وإعياء ...

– عقب على ذلك أحد الفلسطينيين المسجونين معنا قائلا : لقد علمـــت أنهم هدموا خمسة عشر منزلا ... ومحلين تجاريين في قريتنا بـــالمدافع والدبابات ... ، كما دمروا أشجار الزيتون والموالح فيها ... ، متى يتاح لنا أن ننتقم ... ؟

– ويقول سجين مصري ما أكثر ما سمعنا عن تدريبات المصريين عـــلى تجاوز خط بارليف .... بينما هذا الخط يعلو ويزداد تحصينا يوما بعد يوم ... ، واليهود يبنون المستعمرات داخل الأرض المحتلة ... ، بعد أن يصادروا الأرض ... ، ويطردوا أهلها .. ، والعرب من حولهم لا يحركون ساكنا .. سوى الشجب .. والرفض .

– ويواصـــل سجين ثالث الحديث : والأدهى من ذلك طمعهم في المسجـــد الأقصى ... لا ليحافظوا عليه ، بل ليهدموه كي يبنوا

هيكل سليمان المزعوم مكانه ....

– ويضـــيف سجين رابع ... منتهى التبجح أن يقول رئيسهم بعـــد كل هذا القتل والتدمير والعسف ... والعدوان : " لا يملك أحـــد أن يحـــاكم إسرائيل ... ! " بل يرفضون زيارة لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة لسجننا وللأرض المحتلة ... !

وتتراسل بينهم الدعوات إلى الله أن يفك أسرهم .... ويردهم إلى ذويهم ، ... وأن يطهر سيناء ، وفلسطين ، والجولان منهم ... ثم يعـــود كل منهم إلى مكانه من العنبر منكسر النفس ... ولا أمل إلا في عفو الله ورحمته ...

وذات صـــباح مبكر في يوم عيد من أعياد اليهود أخذ يصك سمـــع الجمـــيع دوي انفجارات ... وقنابل من بعيد ... وأضواء شـــديدة الاشتعال ... لكنها سريعا ما تختفي بعد أن ترسل أشعتها خـــلال نوافذ السجن الضيقة ، ... استيقظ الجميع مذعورين ... وكأن حربا تدور بالقرب من منطقة العنبر الذي يضمنا ، ... بدأت أسئلة على شفاه بعض السجناء ولكنها كأحلام الجائعين بالخبز : هل يهاجم العرب إسرائيل ؟ ... لكن كيف يجتاز المصريون خط

بارلـــيف المنيع ؟ كما يزعم اليهود ، ... كيف يتجاوزون الدشم الخرسانية الضخمة القابعة خلفه ، ... وصمت الجميع .. !

لقد مضت عدة سنوات ، كان يتردد على مسامعهم في بعض الأيام قليل من هذه الانفجارات .... وكان يقال لهم إنها تدريبات جيش إسرائيل في صحراء سيناء ... ، ويسألون أنفسهم متى يدرك العـــرب واجـــبهم ... ويحـــررون أرضهم ... ويتم الإفراج عن السجناء العرب ... ؟ ، وهكذا ينتهي الموقف بعودة كل منهم إلى ما كان فيه من هم ... ومعاناة ... ، وإحساس بالفقد والضياع ...

لكـــن هـــذه المـــرة تستمر الانفجارات ، ... ويتكرر صوت القنابل التي تقذفها الدبابات ... وتقترب الأصوات بصورة أكثر مما اعـــتادوه .... وأخـــذ الجمـــيع ينبه بعضهم بعضا ... كي يرهف السمع .... فما يصل إلى آذانهم اليوم غير ما ألفوه ..

وبدأ إحساس جديد يسري في نفوسهم ... توجُّه إلى الله أن يحقـــق الآمال .... ، وتتحرر الأرض ، ... وأن يتم الإفراج عنهم ... ، كما سرى بينهـــم شيء من التحفـــز لكسر الأبواب ، .... وأخذت النظرات المتبادلة بينهم ... تحمـــل هـــذه الآمـــال ... وتلك

الرغـبات ... وإذا بأصـوات تهدم جدران قريبة من العنبر إثر بعض القذائف التي سقطت على السجن فأصابت هذه الأماكن ... ، مقترنة بأصـوات مدويـة ... الله أكبر .. مما جعل بعض الحراس ينتشرون في أنحاء السجن .. ويُسمع وقع أقدام كثيرة خارج العنبر غير ما اعتادوه ....

وتـتردد تحذيرات الحراس المزعجة ... التي سريعا ما اختفت إثر مهاجمة فرقة عسكرية مصرية للسجن حطمت أبوابه التي بقيت وأسرت الحـراس ... وجـد السـجناء أنفسهم وجها لوجه أمام هذه الفرقة العسـكرية المصرية التي ترددت أصداء تكبير جنودها وتهليلهم ... ، أخبرهم أحد ضباطها أنه تم اجتياح خط بارليف .... وأن سيارات نقل الجـنود سوف تصل سريعا لنقلكم جميعا فلسطينيين ومصريين ... إلى مصر .

الرئيس ... والمفقودات

احـــترس ... انتـــبه ... تيقظ ، قالها الأستاذ / نبيه لنفسه مرات عديدة ... ، في السوق وهو يشتري حاجيات الأسرة ، ... لا يمر بائع ممن يتزاحم الناس حوله إلا ويكون يقظا لجيبه ، الذي تستقر فيه محفظة نقـــوده ، ... بها بطاقات متعددة .. ، منها بطاقة تحقيق شخصيته التي بدونها لا تعترف به المؤسسات الكبيرة كالمصارف ، وغيرها من الجهات الـــتي لا يســـمح للبشـــر بدخولها أو التعامل معها إلا إذا قدم إثبات شخصـــيته ، .. وبطاقـــة الصرف الآلي التي تريحه من هم الزحام أمام الصراف للسحب ، أو إيداع ما يتبقى من راتبه ... إذا تبقى منه شيء ، ... وبطاقـــة الـــتأمين الصـــحي التي إن لم يقدمها للمستشفى ، فلن يســـتطيع الوصول إلى ملفه الصحي إلا بعد جهد جهيد ... ، هذا إذا كـــان الموظـــف المختص ممن يقدرون حالة المرضى الذين يلجؤون إلى المستشـــفيات .. عندما تنزل بهم أزمة صحية ... ، بالإضافة إلى بطاقة المكتـــبة العامة التي يهرب إليها أحيانا للقراءة .. ، وهناك بطاقة أخرى ... يبرزها عند الذهاب إلى مكان عمله .. ، لكنه الآن أصبح معروفا

مشـــهورا ... ويكفـــي أن يـــرفع يده بالسلام عند الولوج من بوابة المصـــلحة ... ، وقد يرد موظف الأمن التحية ، ... ، وكثيرا ما .. لا يرد ... !

ومـــن البطاقات المهمة في هذه المحفظة رخصة القيادة الخاصة به، التي بذل فيها جهدا كبيرا حتى حصل عليها ، سواء في التدريب .. ، أو الاختبار الذي اجتازه بواسطة أحد المعارف ... ، ... وظل أمله في امـــتلاك ســـيارة متواضعة ... ينتظر التحقيق ... ، وعندما أصبحت مدخـــرات عمـــره من النقود قريبة من تحقيق الهدف ... ، ذهب إلى ســـوق السيارات المستعلمة ... ، اختار سيارة ... أقرب إلى التواضع منها إلى الفخامة ... ، فهو يعتقد أن السيارة وسيلة وليست غاية ...، وهـــا هي ذي رخصة السيارة تنضم في زهو إلى أخواتها من البطاقات ... الـــتي تعمـــر بها محفظته ... من هنا فهو يعتبر هذه المحفظة وسيلة لاستمرار حياته ، وكثيرا ما يتحسسها في جيبه محترسا متيقظا ....

بـــل إنه عندما دخل المسجد الكبير هو وأسرته لصلاة الجمعة ، حيث الزحام الكثير، نبههم جميعا ، وأكد عليهم فردا فردا ليحترسوا ، ويتيقظوا لما في جيوبهم من نقود ... ، حتى وإن كان قليلا ....

- محمد : انتبه فأنت أحيانا تنسى نفسك ....

- علي : تحسس دائما ما في جيبك ....

- وأنت يا زوجتي العزيزة ... أرجو ألا يتكرر ما حدث لك ذات يـــوم عندما سرقت محفظة نقودك في السوق .... ، برغم أنك كنت تضعينها في حقيبة يدك الأنيقة المغلقة ....

وانتهـــت الصـــلاة ، وتدافـــع كثير من الناس للخروج ... وبدا الـــزحام شـــديدا عند الأبواب ، خاصة عند مكان حفظ الأحذية ..، فجدد الأستاذ نبيه خفية تحذيراته للأسرة .. ، لكنه سريعا ما غير رأيه ، .. وطلـــب مـــنهم الانـــتظار بعـــيدا حتى يلتقط لهم أحذيتهم ... ، وتلاصقت كثير من الأيدي بالأجساد ... ، وامتدت كثير من الأيدي إلى مكان حفظ الأحذية ، ويعود الأب إلى أسرته سريعا مبتسما ... ، وقـــد أخذ يسلم لكل منهم حذاءه ... ، وقد حافظ عليهم وعلى ما معهـــم إن كان معهم شيء يحافظون عليه ، وعندما وضع يده في جيبه ليطمئن على محفظته .. لم يجدها .. !

- لقد سرقت محفظتي ... وعلت الدهشة وجوه الجميع ... أخذ يتلفت حوله ... دون جدوى ... حتى يئس ... ، للمسجد

الكبير حرس خاص ، أسرع بالذهاب إلى مكانهم ليسأل عنها .... ، فسأله الشرطي القائم بالعمل ... هل سرقت داخل المسجد أم خارجه ؟

- عند الباب ...

- إذن هي خارج المسجد ... اذهب إلى أقرب مركز شرطة من هنا ... وهو مركز السلامة ... في الشارع الثالث يمين المسجد ، بعد عشرة بيوت تقريبا ... ثم استدرك ولكن مر بغرفة المفقودات بالمسجد ... وهي بجواري ... فقد يكون من وجدها سلمها للمسئول هناك ... فذهب متحمسا ... لكنه لم يجد شيئا ... وعاد يقول له :

- ولو أردت أن أعمل مذكرة هنا حتى يمكن أن أستخرج بدل فاقد لبطاقتي ... إن لم أجد المحفظة ...

- الآن ... غير ممكن فرئيس المركز غير موجود ....

ويذهب الأستاذ نبيه إلى مركز شرطة السلامة ... ليجد الباب نصف مغلق ... ، فاليوم الجمعة ، والعاملون من الشرطة يشعرون أنهم في إجازة ... برغم أنهم يقومون بعملهم ... ، ثم

إن القضية ليست كبيرة ... إلا بالنسبة للأستـــاذ نبيه فقط ...
وطلب منه الشرطـــي أن يحضر في الصبـــاح لإنجاز مذكـــرة
بالمفقودات فالرئيس المسئول ... أيضا ... غير موجود الآن ...

" البنطلون " والزواج

أصبح عندي الآن عدة بنطلونات : زيتي وكحلي ، وأصفر ، وأحمر ، أزهو بها أمام زميلاتي ، في غير أوقات الدراسة التي تقيدنا بالزي المدرسي ، فتبهرهن ألوانها وأشكالها .

سألتني صديقتي زينب ذات مرة ، من أين اشتريت هذا البنطلون الكحلي يا أمل ؟ ... إنه جميل ولونه طبيعي ...

- لقد أحضره لي أبي في المرة اليتيمة التي سافر فيها إلى لندن ، .. وأنت .. متى تتخلصين من هذه القساتين التي تربطك بعصر الحريم .. ؟ كل شيء في الدنيا يتغير ، يا زينب ، والبنطلون أسهل في الحركة ، ويحافظ على رشاقة الجسم .. ، وهو الموضة .. هذه الأيام .. وبه أكون عصفورة طائرة .

- إن أبي وأمي وأخي يصرون على ألا أرتدي البنطلون ، قائلين إنه زي الرجال .. ، ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل يضيف أبي قائلا إن البنطلون حرام إذا أظهر جسم الرجل ، فما بالك عندما ترتديه فتاة أو امرأة ؟ .. أنا في حيرة .. ، ماذا أفعل .. ؟

- وأخوك .. أيضا .. برغم أنه طبيب يرى ذلك ؟

- نعم .. ! إنه في بعض الأحيان يكون تمسكه أشد الجميع ، برغم ما أراه أحيانا أخرى من حرصه على راحتي ، وما يحقق سعادتي .. خاصـــة عندما نتحدث في أمرين : التحاقي بالجامعة ، فهو ، يؤيـــدني بشـــدة ، كما أنه بشأن زواجه عازم على أن تكون خطيبته من صديقاتي ..

لفتـــت الجملـــة الأخير انتباه أمل .. : إحدى صدقاتك .. لماذا لا أكون أنا هي هذه الصديقة ؟ إن كل الفتيات يشغلن أنفسهم بالتفكير في الزواج ، واختيار عريس المستقبل ، ألم تحدثه عني زينب ، برغم أن الجامعـــة بالنسبة لي أهم من الزواج الآن ، .. لكن ماذا يمنع من الخطبة في الوقت نفسه ؟

لقـــد أخبرتني زينب ذات مرة ، أنه أثنى علي في الصورة التي رآنا فيها مع بعض زميلاتنا ..، وإن كان قد أبدى اعتراضه على البنطلون ، .. لكـــنه ألمح في الوقت نفسه إلى أن هذه حرية شخصية .. ، كما أنه كان لا يفكر في الزواج حينئذ .

لماذا لا أعيد الحديث مع زينب في هذا الأمر، إن الأسرة على خلق

كريم ، وشاب من مثل هذه الأسرة خير عدة للحياة ، وأقوى سند ضد تقلباتها الكثيرة .. ، ولن يكون الزي مشكلة في طريقي ما دمت أبتغي الخير، وما يرضي الله في حياتي .. !

– يـــا زينب .. متى تفرحون بأخيك .. ؟ إن كثيرات من الفتيات يتمـــنين مثل هذا الشاب المستقيم .. ! فاجأ السؤال زينب .. ! برغم تعـــدد مـــرات حديث أخيها معها عن أمل ، وأسرتها ، وسلوكها .. ، وغـــير ذلـــك من الأمور التي يفكر الشباب فيها ، وهم يتجهون إلى استكمال نصف دينهم ، لكنه لم يطرق فكرة الزواج من أمل مباشرة ، برغم طيفها الذي حلق مرات عديدة في حديثها مع أخيها .. !

– هل أنت مستعدة للتخلي عن البنطلون .. ؟ .. لقد ألمح إلى شيء مـــن ذلـــك ، خاصة عندما طلبت من أبي شراء بنطلونين لي ، بل لقد كشف عن رفضه لهذه الفكرة .

– دعـــيني أفكر .. فالأمر هين بالنسبة لي ؟ وإن كنت أتصور أن أخاك يمكن أن يتسع صدره وأفقه لهذا الأمر .. ! فهو طبيب ..

* * * *

– انتهت أسرة زينب في إحدى جلساتها إلى اختيار أخيها الطبيب

لأمل ، وتم ترتيب الأمور كي يتقدم لخطبتها ، خاصة بعد أن أخبرته زينـــب أن موقف أمل من ارتداء البنطلون يمكن معالجته بينهما بما يـــريحهما معا ، دون أن يكون عقبة في طريق تفاهمهما وسعادتهما ، وبناء عش الزوجية ، لكنه أضاف إن أمل يمكن أن ترتدي البنطلون في المـــنزل ، أمـــا في الخارج فيكون تحت العباءة ، ابتسمت زينب ابتســـامه كبيرة أضاءت وجهها ، وهنأت أخاها على سعة أفقه ، وتمنت لـــه زواجـــا سعيدا ، خاصة وقد وعدها أنه يرافقها الليلة لشراء بنطلونين لها ، "وتاير" أنيق لحضور حفل الخطوبة به .

وفاء قبل الموت وبعده ...

أمل .. خيِّرة ، على أبواب الخمسين من عمرها ، متوسطة الطول وممتلئة الجسم إلى حد ما ، محتشمة في ملبسها ومظهرها ، تقدم المعروف لكل الناس ، خاصة بعدما علمت أن حياتها قصيرة ، لاكتشاف السرطان في جسمها ، برغم استئصال جزء من أمعائها . رأت أمل صديقتها سامية جديرة بالرعاية والاهتمام ، فهي مخلصة في عملها في فرع المصرف الخاص بالنساء ، .. لم ترها تتشاجر مع زميلاتها .. في العمل .. ، قليلة الكلام إلا فيما يفيد .. ، لكنها سمعت أنها قد تتشاجر مع رؤسائها ، رجلا كان أو امرأة .. ، كما سمعت أمل أخيراً من أقرب القريبات لسامية أنها عصبية جداً ، لكنها لم تر شيئا من ذلك بنفسها .. ، لا هذا .. و لا ذاك ، فهل هذا لأنها لم تشاهدها في مواقف يمكن أن تستدعي ذلك ، أو لأنها ربما كانت بعيدة عنها .. قبل الآن .. قد تبدو سامية هادئة ، وأحياناً صامتة .. ، فهل صدمت في علاقات عاطفية .. ، خاصة وقد علمت أمل أنها قد خدعت من رجل ... متزوج .. لم يخبرها بذلك ، كما استولى على بعض نقودها ... ،

والغريـــب أيضـــا أنها استشارت بعض زملاء العمل من فرع المصرف الخـــاص بالـــرجال بطريقة غير مباشرة .. لا الزميلات .. ، كي يردوا لهـــا حقوقهـــا منـــه ، .. بل لقـــد وسطتهم بينها وبينه من أجل ذلك ... ؟!

كـــل هذا جعل أمل تقترب منها أكثر ، وتشعر بالرعاية والعطف نحوهـــا ، .. وقـــررت اعتبارها أختاً لها .. ! وهكذا أخذت العلاقات تـــوثق وتمتد بينهما .. ! .. وخلال بعض الاتصالات في العمل بينهما أحيانا ، وتجاذب أطراف الحديث في أحيان أخرى ، لمحت أمل في عيني ســـامية شـــيئاً من التقدير .. ، والاهتمام بإحدى شخصيات الرجال المســـؤولين عـــن العمل عند الحديث عنه ، كما رأت في سلوكها تجاه أوامره شيئا من الاحترام .. والتبجيل .. والإعجاب ..

لكن أمل ما إن أدركت ذلك .. حتى أخبرتها سريعا .. أن ذلك هو سعيد زوجها .. مما جعل سامية تشعر بالخجل .. والارتباك .. ، من ثم أخذت تدعو لهما بالتوفيق والسعـــادة الدائمـــة ... واعتذرت لها قائلة :- " إن هذه مفاجأة لي ... لكنها مفاجأة سارة .." ، فأمل حديثة عهد بصداقتها ، ... من ثم ، فقد واصلت سامية تمنياتها لهما بمزيد من

الاستقرار والسعادة ..، والدعاء لهما بالخير والبركة .

ربطـــت أمل بين هذا الموقف ، وبين ما سمعته قبل ذلك من زميلة أخـــرى ، وبطـــريقة عرضـــية ، أن سامية همست لها بإعجابها بأحد المســـؤولين عنهم في العمل من الإدارة العامة .. ، وأنها تتخيله ملاكا يمشـــي على الأرض ..، وهو دائما مبتسم كما يقال عنه .. ! ويساهم بـــإخلاص في حل مشاكل الآخرين .. ! نعم إن هذه بعض صفاته .. ! أخـــذت أمل تخاطب نفسها .. هل يكون سعيد زوجها .. ، هو ذلك الرجل الذي تتحدث عنه سامية ، ولم تكن تعلم أنه متزوج بها ..ربما .. فهـــي بـــرغم أنها حديثة عهد بصداقة سامية .. ومعرفتها ..، لكنها لا تشك في نواياها الخيرة .. أبـــداً ... فمـــا لمسته من أحاديثها وأفعالها للآن لا يسمح لها بالشك فيها .. !

مـــن هنا فقد رأها أمل جديرة حقا برعايتها ، والعمل على تحقيق الاستقرار .. والمودة .. والرحمة لها ، فأخذت تبحث لها عن زوج يحقق لهـــا كل ذلك ... ، وعن طريق زوجها سعيد نفسه .. ! ومما زاد من حماسة أمل نحو صديقتها ، معرفتها بتجربتها السابقة التي لم تحقق لها ما تريد ... ، وهذا ما جعلهـــا تمعن في التفكـــير .. أكثر وأكثر ..، حتى

تعـــوض سامية عن هذه الحياة البائسة ، .. وهي تحاول إخفاء عنوستها .. أمام الآخرين ..، أو تتراءى أحيانا بقبول واقعها غير المريح ... وإن أقنعـــت نفسها به ، وأنها ليست أولى من تأخرت في الزواج .. ، ولا آخرهن ..

وتحديـــدا للموقف قررت أمل أن تبحث لها عن طبيب من عائلة مـــرموقة .. مناسب ماديا ومعنويا .. ، فقد أدركت أن ذلك هدفها ، خاصـــة عندما شاهدت إحدى زميلات سامية تسخر من رغبتها هذه ذات مرة ، .. فعرفت أنها متعلقة بهـــذا الهـــدف ، .. بل لقـــد رأت أمل نفسها سامية تدافع عن هذه الفكرة باقتناع .. !

لكـــن أمل عندما تحمست وعرضت عليها مساعدتها في اختيار الـــرجل المناســـب ... همست سامية في أذنها : إنها تريد أن تلقى ربها نظيفة .. طاهرة .. مما أدهش أمل وأثار تعجبها .. ، .. حتى إنها عندما حكـــت ذلـــك لزوجها سعيد الذي سوف تعتمد عليه في معاونتها في اختـــيار زوج لها، شاركها أيضا الدهشة والتعجب ، أليست سامية .. ككل النساء .. ! أم أن هذا تمنُّع الراغبة ..! ومع ذلك فقد عزما معا ، أمل وزوجها على المضي في هذا المشروع الخيّر .

لكـــن أمـــل بدأت تشعر بمزيد من التعب ، مما قد لا يسمح لها بمواصـــلة العمل في المصرف .. ، من ثم فقد اقترح عليها سعيد زوجها أن تأخذ إجازة مرضية .. ، خاصة والطبيبة المعالجة أوصتها بالراحة ..

دفع هذا الموقف سامية إلى الارتباط أكثر بأمل تقديراً لها .. حتى تؤنس وحدتها .. أثناء غياب زوجها في العمل .. ، ومما ســـاعدها على خـــدمـــة أمل ومعاونتها، موافقة الإدارة في عملها على أن تعمل ثلاثة أربـــاع الوقـــت .. وقـــد تم ذلك بعد عدة طلبات .. ومكاتبات .. ومناقشـــات انتهت إلى صدور قرار خاص بسامية ، بشأن ذلك .. ، برغم أنه أثار دهشة المسؤولين في إدارة المصرف .

في الوقـــت نفسه كان سعيد قد عزم على الاستعانة بخادمة .. ، لكـــن مـــا أثار انتباهه حقا .. كيف تقوم أمل بكل مسؤوليات حياتها العائلية .. وهي مريضة .. والمفروض أن تستريح .. !

وما أن صارحت أمل سعيد بأن سامية تزورها كل يوم تقريبا، حتى أدرك سعيد سر طلب سامية إعفاءها من العمل ربع الوقت، واقتطاع ما يقابل ذلك من راتبها ... فأكبر مـــوقفها إكباراً شديداً ، وأشاد بوفائها لأمل ... بل لقد تأكد له أنها جديرة بحماسة أمل لها... ، إلا

أنه حاول التفاهم مع زوجته أن تقنع سامية بالعودة إلى عملها كاملا .. ويكفيها بعض الزيارات ... ما دامت الخادمة سوف تقوم بمسؤوليات المنزل ...

اشتد المرض بأمل ، مما جعل سامية تحرص على مؤانسة أمل ومعاونتها خاصة أثناء غياب زوجها ، الذي كان يسمع منها كثيراً من عبارات الثناء لسامية ، فيزداد إكبارا وتقديرا لها .

وبرغم أن وفاة أمل كان وقعها شديدا على سامية وسعيد كليهما، خاصة أن فراغا كبيرا شغل حياتيهما بعدها .. ، لكنهما بدآ معا كل على انفراد يفكر في وصية أمل لهما بأن يرعى كل منهما الآخر بالزواج .. إذا لقيت هي ربها ..، وبرغم أنهما كانا يستبعدان هذه الفكرة .. تماما لكن بعض زملاء وزميلات العمل لكل منهما ، ممن كانت تصلهم بعض أخبار صداقة أمل وسامية ، .. أغروهما بهذه الفكرة .. ، وزينوها لهما ... حتى إن سعيد وجد نفسه ذات يوم متوجها إلى أهل سامية طالبا يدها ... وتم الزواج وفاء وتقديراً لأمل .. ، وجمعا لشمل هذين الشتيتين .. خاصة بعد مفارقة أمل للحياة ..

الحب والسيارة المهشمة

جاءه صديقه أحمد مكفهر الوجه على غير عادته فحاول تهدئته ، ..ومـــن ثم طلـــب منه أن يتكلم ويفضي بما عنده .. حتى يستريح .. فأخذ يتحدث : وملامح الحزن تملأ وجهه ؛ قائلاً :

كثيراً ما تمنت زوجته حنان أن يكون لها سيارة فاخرة ، تسعد بها كمـــا يســـعد الآخـــرون بسياراتهم ، وتقضي بها الأسرة مصالحها ، فســـيارات الأجرة ، أو المواصلات العامة، لم تعد وسيلة مريحة ملائمة في عصر الزحام وجشع أصحاب سيارات الأجرة،

والأهم من كل ذلك أن تحقق بها شيئاً من سعادة التملك ..!

لذلـــك كثيراً ما صرحت أمام زوجها أحمد بهذه الرغبة اللهيفة ، الـــتي تســـكن حنايا صدرها ، كما تتجلى في عينيها المتوسلتين دائماً خاصة عندما تردد : متى نمتلك سيارة خاصة بنا ؟

ولا يملك أحمد إلا أن يعدها بتحقيق هذه الرغبة ..، فهو يحبها ..، وقد عاهد نفسه أن يحقق لها ما يسعدها، ..كلما سمحت ظروفه بذلك، لاسيما وقد كان يلمس أحياناً مشاعرها الدافئة نحوه ..، وثراء طاعتها

له أحياناً أخرى ..، وتقديرها لظروفه المادية ..، على الأقل في الظاهر، .. لكنه لا ينسى أيضاً في حديث عابر لهما رأيها في المقارنة بين الزوج والأخ ، عندما قالت له : الزوج يمكن أن يعوض بغيره ، بينما الأخ .. لا يعـــوض ..، وقـــد آلمته هذه الصراحة الفجة ..، لكنه كعادته وسع صـــدره ليحتوي هذه التجاوزات التي قد تكون مثيرة دون قصد منها ...، وعـــندما لاحظـــت هي انطفاء الابتسامة في وجهه ..، أكملت : لكن الزوج المخلص لا يعوض أيضاً ..

إنـــه عـــازم على تلبية رغبتها في السيارة ، لكنه يعتقد أن هناك أولويات لرغبات الأسرة وطموحاتها ، التي تكشف عنها زوجته حنان دون تفكير في هذه الأولويات .. تلميحاً مرة ..، وتصريحاً مرة أخرى ..، وهـــو يرى هذه الأولويات على النحو التالي : الشقة التملك أولا ..، ثم الســـيارة ثانياً ..، ثم .. ، .. ثم ، وقبل كل ذلك لابد من توافر الإمكانات المالية ، من ثم فهو لا يملك ... إلا أن يكرر وعده لها بشراء السيارة، كلما توثبت هذه الأمنية على شفتيها ..، أو تصدرت كلماتها الملحة ، في التعبير عن حاجة الأسرة الشديدة للسيارة ، لأنه لا يعرف بالتحديد متى يتم ذلك ، وإن كـــان يشعـــــر باقتراب تحققه ، ..

ولقـــد حمد الله كثيراً عندما اشترى شقة الأحلام الجميلة مكاناً ..، المتواضعة إمكانيات ..، من ثم فقد أخذ يتطلع إلى شراء السيارة ، وهي في نظره وسيلة وليست غاية ، ولذلك فقد انتهز فرصة توفر ثمنها لديه ..، وأخذ يتجول في بعض وكالات السيارات ومعارضها ، باحثاً عما يمكـــن أن يحقـــق لزوجته هذه المفاجأة السارة ، .. لأنه عازم على أن يقدمها إليها هدية في عيد ميلاده هو ..، آملا أن تدرك مدى حبه لها .. وحرصه عليها ، .. برغم أنها في أعياد ميلاده تعبر عنها كلاما..، أكثر مما تعبر عنها أفعالاً .. !

هـــذا بـــرغم أنـــه سوف يكون صفر اليدين ..بعد وضع كل مدخـــراته في هـــذه السيارة التي يتوقع أن تسعد زوجته ، كما ترضي رغبته في إدخال البهجة والفرحة في قلبها ..

وقـــبل عـــيد ميلاده بيومين اصطحبها متظاهراً بالرغبة في شراء بعض الأغراض المنزلية ، .. لكنه توجه إلى معرض السيارات الذي وقع اختياره من قبل عليه ، ودعاها إلى التجول فيه ، كي تختار ما يمكن أن يكون ملائماً في نظرها .. ، .. مما جعلها تقبل بسرور وسعادة ، حتى إذا ما انتهت جولتهما ، كان الاختيار قد تحقق ، فأخبرها أنها ستكون

إن شـــاء الله هدية لها منه ، .. فأشرقت ابتسامة عريضة على فمها ..، ولمعـــت فـــرحة غامرة في عينيها ..، خاصة عندما طلب منه الموظف المخـــتص بيانات مالك السيارة ، فأخبره أنا باسم : السيدة حنان على محمـــد زوجـــته ... وبعد أن أتم تسليم ثمن السيارة واستلام الأوراق الخاصة بها ، عادا بها سعيدين إلى عشهما ، على أمل أن يتوجها في الغد إلى إدارة المرور لإنهاء إجراءات الترخيص باسم السيدة زوجته .

وفي قسم التوثيق بإدارة المرور حدثت المفاجأة التي أذهلت أحمد ، إذ بعد أن تم استلام رخصة السيارة باسم السيدة حنان على محمد ، كـــان لابـــد مـــن عمل توكيل منها لزوجها أحمد حتى يستطيع قيادة السيارة، خاصة وهو لا يريد أن يتعبها بأمور القيادة والعناية بالسيارة ، فسألها الموظف المختص : توكيل للأستاذ بكامل التصرف في السيارة أم بالقـــيادة فقط ؟ ، فقالت له حنان بشدة .. بالقيادة فقط طبعاً .. فلم يســـتطع أحمـــد أن يتكلم من هول هذه المفاجأة ... وتم توقيعها على التوكـــيل دون أن ينطق أحمد بكلمة واحدة .. فما يزال يعاني أثر هذه الصدمة التي تنبئ عن أمور كثيرة ..لم يكن أحمد يتوقعها .. لعل الشك .. وعدم الإخلاص له في قمة هـــذه الأمور .. وغير ذلك من المتغيرات

.. التي ظهرت الآن ...

وفي منزلهما سألها أحمد .. قدمت لك كل خير ، فهل تقابلين ذلك بالشـــك وعدم الوفاء ... فقالت له : اعلم أن هذه السيارة يمكن أن تكون في أي لحظة كومة من الحديد .. وليس فيها أي خير ..

ذلـــك مـــا جعله يفكر من الآن .. سائلاً الله أن يعينه على شراء سيـــارة أخرى متواضعـــة خاصـــة به .. دون أن يتكرر هذا الموقف المهين ...

بحث علمي ..

جاء ابن علي صالح إلى مصر من بلده البعيد عنها ، كي يعد رسالة الدكـــتوراه ، فهو أمل أسرته .. ودولته ، عانى كثيرا في الحصول على الماجستير .. ، لقلة وسائل البحث العلمي في مدينته ، .. فالمكتبة فيها محـــدودة الإمكانـــيات ، ولئن ظفر بكتاب ، فهناك كتب كثيرة غير موجودة فيها، والموجود منها قد لا يخدم بحثه كثيرا لبعد اتصالها به .. ، وذوو الخـــبرة في مجـــال تخصصه يعدون على الأصابع في مدينته .. ، وناهيك عن المجلات العلمية المتخصصة ، فهي نادرا ما تضيء أكشاك الصحف والمجلات هناك ..

لكنه وجد ضالته في مصر .. ، وقد كان يريد أن ينتهي سريعا من مهمته العلمية .. ، .. سمع أن الكليات الإقليمية قد تكون أكثر تيسيرا للأمور من كليات العواصم ، .. فلماذا لا يجرب حظه فيها ؟

لقد توجه فعلا إلى إحداها القريبة من القاهرة .. ، لأنه لا يستطيع الابـــتعاد عن القاهرة كثيرا ، فرغم أن فيها فرصا كثيرة للعلم والمعرفة .. ، لكنهـــا كغيرها من العواصم .. ، يستطيع أن يلهو فيها أيضا .. ،

في هـــذه الكلية الإقليمية التقى أحد أعضاء هيئة التدريس الذين وجد فيهم مـــا يمكن أن يحقق له ما يبتغيه بيسر وسهولة .. ، دون أن يكـــون هو مهيأ علميا لذلك ... فالقاهرة تحتضن الجميع .. وترعاهم ..، وكل منهم قادر على اختيار طريقه .. !

انتهى بن علي صـــالح من الدراســـات العليـــا التمهيدية لمرحلة الدكتوراه ، فقد وصل إلى مرحلة اختيار الموضوع الذي سيتقدم به إلى الكلـــية للتســـجيل في هـــذه المـــرحلة ..، في تخصص علم الاجتماع الصناعي .. ، لكن من أين يأتي بالموضوع .. ؟ وهو إلى الآن لم تتضح في ذهـــنه أي فكـــرة ملائمة .. ! والمدة المحددة له من قبل بلده الذي أرســـله للبحث العلمي إلى مصر على وشك الانتهاء .. ، ولن يوافق ســـفير بلـــده في القاهرة على استمرار بعثته إلا إذا تقدم بخطاب من الكلية التي قيد اسمه فيها .. ، يفيد تسجيله لموضوع الدكتوراه ..

والتقـــت رغبته اللهيفة بالموضوع برغبة أستاذه د . مفيد سالم في الانـــتقام من زميل لهذا الأستاذ وهو عضو هيئة تدريس بالكلية نفسها ..، لكنه يعمل خارج مصر .. ، لذلك ما إن فكر بن علي صالح في أن يسطو على رسالة المـــاجستير الخاصة بهذا الزميل فإن د . مفيد لم ينهه

عـــن ذلك .. ، بل على العكس اقتنع بصلاحية رسالة الماجستير هذه لتكون رسالة للدكتوراه .. ، بعد أن يضيف بن علي صالح إليها بعض النصوص .. ، والتعليقات .. ، وبعض الإحصاءات والتجارب الوهمية، وغـــير ذلك من صور الإيهام والتغيير المنحرفة .. ، لكن قد تنكشف هـــذه الســـرقة بواسطة أحد أعضاء هيئة التدريس الذين يعملون في القســـم نفســـه .. ، وهـــم على صلة بكل الأطراف .. ، وربما بكل الملابسات أيضا .. ،

حـــاول بن علي صالح أن يغير في العنوان تغييرا قد يخفي محاولته الآثمـــة ، وقـــد جعـــل فصول رسالة الماجستير هذه أبوابا في رسالته للدكـــتوراه ، بعـــد أن أسهب في الإضافات الجوفاء، والتشقيقات .. والتفصيلات غير المطلوبة ..، وبعد أن أوعز د . مفيد سالم الذي كان رئيسا للقسم إلى هذا المبتعث بالصيغة الخبيثة المراوغة للعنوان . .، وتم اســـتكمال الخطـــة ، وأبوابهـــا المخادعة ..، وتمت محاولة جس نبض الذاكـــرة لـــدى أعضاء هيئة التدريس بالقسم ، عندما عرض عليهم الموضوع في اجتماعهم الشهري .. ، لكن هل سيتذكرون ... بعد هذه السنوات الطويلة .. أن ذلك هو موضوع رسالة الماجستير لزميلهـــم

بالقسم .. الذي غادرهم .. للعمل بالخارج .. ؟ إنهم قد نسوا عنوان رسالة الماجستير الخاصة بهذا الزميل ، ... بل ربما نسوه هو أيضا .. ، خاصة وضغوط الحياة ، والتصارع عليها قد أسرت الجميع ، وتوشك أن تسحقهم .. ! ويمر الموضوع عنوانا وخطة ، تحت سمع وبصر جميع أعضاء القسم .. بعد خطبة عصماء ألقاها رئيس القسم د . مفيد سالم حـــول أهمية هذا الموضوع وجهد هذا المبتعث وإخلاصه ، بينما هو قد قضى وقته لاهيا بالقاهرة منغمسا في التضليل خلال هذا البحث الذي نال درجة الدكتوراه .

الشمس طلعت

جميلة .. وهي جميلة حقا ، وجه ناعم الإشراق ، .. يغنيك تودده، وإن لم تـــودد ، .. ثغـــر لؤلـــؤي دائم الابتسام .. ، وعينان سودوان مكحولتان .. ، يسبح فيهما خيال الشعراء .. ، وأنف كنبتة الزهر ..، فيه شموخ وكبرياء .. ،

هكذا كانت جميلة .. يفوح منها رواء الشباب ، في حياء غامر ، وحيوية دافقة .. ، يمتزجان في صوت ملائكي رخيم ...

أحبـــته بإخلاص نقي .. ، فأقبل عليها "جمال الدين " بقلب طاهر مفتوح ، رأت فيه فارسها الأمين .. ، والأخ الرحيم .. ، والزوج الوفي .. ، والعقل الكبير ..

ووجـــد فـــيها سعة الصدر ، وبعد النظر .. ، وعزة النفس .. ، ووفاء الحب .. ، وهكذا تمنى أن تجمع بينهما الأقدار في مودة آسرة ، ورحمة غامرة .. ، في حياة زاخرة بالمعاناة والصراع .. مما جعلهما أكثر توافقا وقربا ...

كلما نظر إليها .. حملتهما أجنحة السعادة .. ، وغمرتهما الألفة .. ،

ونسائم الصفاء .. ، فكان لها .. و كانت له ..

وكـــلما رأته عاشت الأمن والأمان .. ، فتمنت أن تعيش اللحظة قبل الأوان ..

ذات مرة التقاه صديقه ، فتبادلا ابتسامة مشرقة ثرية ، وقال له : الشـــمس طلعت .. ، فعرف أنها قادمة إليه .. ، ومن أجله فقط .. ، وهكذا اعتاد طلوع الشمس ...

السجن .. والقضية

فـــي إحـــدي المدن العربية ، فجأة وجدت السيارة التي أقودها قد دارت بـــي ثـــلاث دورات ســـريعة حول نفسها .. ، وتوقفت في تقاطع شارعين كبيرين ، إثر صدمة قوية في آخر جنبها الأيسر ، وذلك عندما قطعت الإشارة تلك السيارة السريعة التي صدمتني ، فتهشمت مقدمتها .

ولكـــن الله سلم .. ، فلحسن الحظ كان الوقت مبكرا في الصباح ، فلـــم يكـــن هـــناك مارة ولا سيارات عابرة ، وقد تصادف مرور سيارة دوريـــة المـــرور التـــي قـــرر الجندي المسؤول فيها أن الخطأ مشترك ومناصفة بيني أنا ومن صدمني ، لأنه لم يكن هناك شاهد ليقرر الحقيقة، وكلانا أنا والسائق الآخر مصمم على أنه لم يقطع الإشارة ، .. لذلك قرر هذا المسؤول اصطحابنا إلى مركز الشرطة لإتمام إجراءات التحقيق.

وهناك قرر المسؤول الذي قام بالتحقيق معنا إيقافنا وحجزنا ، لأنه لـــم يعترف بعقد التأمين الموجود معي ، وأصر على رؤية وثيقة التأمين نفســـها ، التـــي لـــم تسلمني إياها الشركة اكتفاء بالعقد المحددة فيه كل التفصـــيلات ، ومـــنها ضـــمانها لي في كل الحقوق ، وتغطيتها لتكاليف الحوادث المادية .. لي وللآخر.

أمـــا شـــريكي فـــي المشكلة فلم يكن يحمل رخصة قيادة ، وليست الســـيارة ملكا له ، وإنما هي ملك للمكتب الذي يعمل به ، وقد كان ينقلها إلـــى مكان آخر ، كما لم يكن معه لا وثيقة تأمين ولا عقد ، ولا حتى ما يثبت شخصيته .

وبرغم ذلك فقد أدخلنا معا جندي مركز الشرطة السجن الذي أغلق بابه علينا حارسه بقفل قوي كبير ، من ثم وجدت نفسي بين مجموعة من السجناء ، بعضهم قد استلقي على سرير مهترئ ذي طابقين والهم يركبه ، ويفـــوح الأســـي من أسارير وجهه ، وبعضهم الآخر يجلس القرفصاء فوقه سريره غارقا في همومه ..وأجزائه

وبـــدأت أشـــعر بالاختـــناق فرائحة النوم والتدخين ، وغيرها من الـــروائح الكـــريهة تمـــلأ هاتين الغرفتين الملحقتين بقسم الشرطة لإيواء الخارجيـــن على القانون مؤقتا ، لحين الفصل في قضاياهم .. ، ويا ويل من يدخل من باب هاتين الغرفتين المضائتين إضاءه ضعيفة ، فهما بدون نوافـــذ ، أو ربما كانت لهما نوافذ علوية مغلقة ، فلم تكن الرؤية واضحة .. ، بـــرغم أن الوقـــت كان صباحاً.. لكن لا يتضح في هذا المكان هل نحن في الليل أو النهار ..

ولـــم أجد أمامي من منقذ إلا شركة التأمين ، فحاولت الاتصال بها مســـتغيثا مـــن خلال هاتفي المحمول ، .. لكن دون جدوى ، .. ولست

أدري هــل هاتفها كان مشغولا أما أن ضعف الضوء لم يسمح لي بالدقة لــرؤية رقم الهاتف المطلوب ، ومع ذلك فقد كررت الطلب عدة مرات ، إلـــى أن رد على أحد الموظفين ..، فشكوت له ما أنا فيه .. من اختناق وسجن..، واحتجاز وإيقاف ..، لكنه أخبرني أن المسؤول غير موجود ، ..مــع ذلك فلا بد من إرسال شخص من قبلي ..، ربما يسلمونه وثيقة .. التأمين.

وهكذا عدت إلى هاتفي المحمول مرة أخرى مستنجدا بالأصدقاء .... محمــد ، ثــم محمود ، فسعيد .. ومع الإضطراب وعدم وضوح الرؤية يبدو أن الأرقام غير صحيحة ..، وأخيرا كان عبد الله هو الذي وعدني بسرعة إنهاء الموقف ..

وطـــال الانتظار في هذا الجو الخانق بشرا ورائحة .. خلال ذلك وجدتني أتبادل اختلاس النظرات مع غريمي .. خاصة .. وأنا أذهب إلى باب السجن ذي الأعمدة الحديدية التي تسمح برؤية من في الخارج علني أجد صديقي عبد الله قد أتي لإنقاذي حاملا وثيقة التأمين ..

وهــا هــو ذا قد جاء معه الشرطي الذي فتح باب السجن وأطلق سراحي.

الرئيس والبنود السبعة

المناقشـــات الكثيرة حول تغيير المادة ٧٦ من الدستور المصري ، التـــي جعلت رئاسة الجمهورية بالانتخاب الحر المباشر بين المتنافسين ، قـــد ألغـــت الاستفتاء علي شخص واحد يرشحه مجلس الشعب الذي كان معمولا به من قبل فى مصر .

وبـــرغم الشـــروط الكثيرة التي وضعها هذا القانون ، حتي ليزعم بعـــض المعترضـــين أن هـــذه الشـــروط قد أفرغت التغيير من محتواه الديمقراطي ، لكن أبا أحمد فكر في ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية ، بل لقـــد تهلل وجهه فرحا وبشرا عندما أخذ يقلب هذه الفكرة ، وما أن أخبر بها زوجته أم أحمد حتي قابلتها بفتور شديد ، واعتراض أشد ... قائلة له إننـــي متعبة من تنظيف الشقة بالأمس ، وغسيل ملابسك أنت والأولاد ، فدعني من الحديث في هذا الموضوع الآن .، لكنها واصلت حديثها قائلة : لا تتصور أن عملية الانتخابات سهلة مثل عملية انتخابك رئيساً لنقابة

عمال مصنعك .. فهؤلاء لم ينتخبوك إلا بعد أن قمت بالواجب لكل منهم .. ، وأقمـــت عدة ولائم لهم ، وكلفتنا كثيراً ، مما جعلنا نستدين ، ومكثنا عامـــا ميزانية البت مضطربة ، وما تزال ... ، فماذا نفعل إذا كان ذلك علي مستوي الجمهورية ؟

أما أبو أحمد فلم يهدأ ... ، ولم يتوقف عن التفكير .. ، إذا كان قد نجـــح في انتخابات نقابة المصنع ألا يمكن أن ينجح في انتخابات رئاسة الجمهوريـــة ؟ خاصـــة والمغـــريات متعددة ، فهناك كثيرون من الناس يبـــتغون التغيـــير ، ويدعـــون إليه ، حزب التجمع ، وجمعية كفاية .. ! وآخرون ... ، ثم إن هناك منحة من الدولة ، مقدارها نصف مليون جنية للانفاق علي الدعاية الانتخابية ، من ثم فلن تكون هناك أزمة مالية ، كما تـــري زوجتي أم أحمد ، ولكنه سأل نفسه ، ما البرنامج الإصلاحي الذي أنـــوي تحقـــيقه ، وأعلـــنه علي الناس ؟... وأخذ أبو أحمد يرتب نقاط برنامجه :

أولاً : إلغاء قانون الطوارئ التي تحكم به مصر .. ، وقد تسبب ذلك في آلاف من حالات الظلم ... التي تمتلئ بها السجون .

ثانياً : القضاء علي البطالة ، وتشغيل العاطلين ، وما أكثر الأسر المحتاجة إلى ذلك .

ثالثـــاً : رفع الأجور والمرتبات ، خاصة والغلاء يشتد ، حقيقة قد تكون الأزمة عالمية ، لكنني سأبحث مع مستشاريَّ سبل رفع مستوي المعيشة .. أليس للرئيس مستشارون فنيون ؟

رابعـــاً: مشكلة الإسكان وارتفاع إيجار المساكن ، والعدل في تحقيق التوازن بين إيجار المسكن القديم والمسكن الجديد.

خامساً : القضاء علي العشوائيات ... لا ... هذا قد يكون صعباً ، يكفي أولاً تنظيم العشوائيات، وإمدادها بالماء والكهرباء ....

سادساً : تشجيع الجمعيات والمنظمات المتدنية لخدمة الشعب .

سابعاً : التعليم ... والصحة ... والتأمين وغير ذلك من الخدمات التي هي بحاجة إلى تطوير ... خدمة الشعب .

وهكذا أصبح مرشح البنود السبعة

وما أن أشرق وجهه بالابتسام ،.وأخذ يردد الحمد لله بصوت مرتفع ، عـــدة مرات حتي وجد أم أحمد بجواره توقظه من نومه ... لكنه عزم علـــي التوجه ليأخذ أوراق الترشيح من اللجنة المشرفة علي الانتخابات ، وليتقدم بها ... حتى ولو كانت نسبة النجاح ضئيلة متدنية .

" الحياة تتجدد " ـ رؤية وردية

أ . د . أحمد السعدني

١ – مـــن اللافـــت للنظر أن الكاتب في تقديمه لمجموعته يرفع شعارا مشـــرقا ورؤية وردية ، فهو يشير إلى أن الحياة تحمل في تجددها الأمل والـــبهجة والسعادة للفرد والمجتمع والأمة ، ومن ثم فإن التفاؤل يأتي لربط المتغيرات بنتائجها كي يتحقق الخير والسعادة .

ولقـــد نلاحظ أن هذه النظرة المثالية للحياة التي ترى في متغيراتها البهجة والسعادة للأنا والآخرين ، قد تفاعلت فنا وأداءً في المجموعة .

٢ – والمجموعة في سبع قصص قصيرة وصورة .

جاءت خمس منها يعتمد ضمير الغائب، وقصتان بضمير المتكلم ، والصـــورة جاءت بضمير الغائب . وهذا يوحي للمتلقي بأن الكاتب يريد أن يكون موضوعيا ، وخاصة أنه في تقديمه لا يشير إلى الثوابت ، بل يشير إلى المتغيرات ويربطهـــا بنتائجها التي تحقق الخير والسعادة عن

طريق التفاؤل .

٣ – ليس غريبا إذن أن نرى شخوص المجموعة كلها في تيمة – إن لم تكن واحدة – فإنها متقاربة في لون مشرق أبيض ، ليس هناك ألوان أخرى في بناء الشخصية، فالطيبة وصفاء القلب وحب الآخرين والسعي إلى سعادة الجميع ملمح واضح في سلوك الشخصية ، مما يؤكد أن الثوابت التي أرادها المؤلف لبنائها لا تخرج عن هذا الإطار ، مما يجعلنا نرى إسقاطا من الدكتور سعد أبو الرضا على شخوصه ، ولا يخرج على هذه القاعدة سوى استثناء واحد ، جاء في قصة " بحث علمي " ؛ إذ نرى الشخوص فيها في الجانب المقابل جانب الشر ذي اللون الأسود ، هذه الحدة في تقسيم شخوصه إلى لونين ، أبيض وأسود يعبر عن موقف الكاتب ورؤيته للحياة والأحياء .

٤ – تأتي قصة " الحياة تتجدد " بضمير الغائب عن عودة مقاتل فلسطيني إلى قريته بعد تخرجه في الكلية الحربية ليجدها قد أصبحت أطلالا ، بعد أن خربها اليهود بالطائرات مستعملين اليورانيوم المخصب المحرم دوليا ، قتلوا المدنيين والأطفال ، ودمروا المسجد بلا أدنى رحمة للعباد ، ولا أدنى حرمة لأماكن العبادة ، والقصة تدخل في إطار ما

يمكـــن أن يســـمى الـــتحريض عن طريق الفن ، فالمتلقي يأخذ جرعة وجدانيـــة متدفقـــة من الغضب الذي يثمـــر ثورة على العدو . لم يجد " رشيد " المقاتل العائد بدا من الانضمام إلى أعضاء المنظمة التي أخذت على عاتقها مهمة الثأر لما حدث .

في البـــناء الفني ، نلاحظ أنه ليس هناك فاصل زمني بين حدثين ، رؤيـــة " رشيد " للدمار الذي حدث لبيته وللمسجد ، وانضمامه إلى عضوي المنظمة في طريقهما إلى الكمـــائن والعمليـــات التي تستهدف العـــدو الصهيـــوني ، كما أنه ليس هناك توتر في مشاعر الشخوص أو قلـــق، لأنهـــم مهيأون نفسيا للرد على محاولات الصهاينة تفريغ أرض فلسطين من أهلها .

٥ – قصة " الله أكبر " امتداد للرؤية الفنية في قصة " الحياة تتجدد " ، فإذا كان تجدد الحياة للفلسطيني أن يثأر من الصهاينة مغتصبي الأرض ، فإن تحرير الأرض العربية التي اغتصبت هي أيضا بدورها تجديد للحياة بالنســـبة للإنسان العربي ، فهزيمـــة ١٩٦٧ كانت سجنـــا للمصريين والفلسطينيين ، ونصر ١٩٧٣ ، جاء لإخراج السجناء من سجنهم ، نصر كان طاقته الروحية " الله أكبر "، خرج المصريـــون من سجنهم ،

وخـــرج الفلســـطينيون أيضا من سجنهم ، خرج المصريون من سجن الهـــزيمة واستردوا الأرض ، وخرج الفلسطينيون من سجن ١٩٦٧ ، ووضـــعوا أرجـــلهم عـــلى الطريق إلى تحرير الأرض ؛ وهو المقاومة والكفاح المسلح، كما بدا في القصة الأولى ؛ فحياة الحرية تتجدد بعدم الاستسلام للعدو.

٦ – في قصة " الرئيس والمفقودات " مفارقة طريفة ، رب الأسرة يحذر أفراد أسرته من أن يسرقوا ، وتسرق محفظته هو .

٧ – تـــأتي قصـــة " البنطلون والزواج " بضمير المتكلم ، فيها توجه إسلامي واحد في فكر " أمل " و " زينب " وهما صديقتان ، انطلاقا من أسرة كل منهما ، بيد أن أســـرة " زينب " تتشدد في هذا التوجه ، في حين أن توجه أسرة " أمل " معتدل . ويتمثل هذا التوجه في القصة في ارتداء الفتاة البنطلون ، وينتصر الكاتب للاعتدال ، فيتم الموافقة على أن تلـــبس " أمل " البنطلون بعد زواجها من شقيق صديقتها " زينب " في البيت ، وتلبس فوقه العباءة في خارج البيت .

٨ – قصة " وفاء قبل الموت وبعده " يوحي عنوانها بمضمونها ، حركة الشخوص في القصة تنطلق من العنـــوان ، " أمـــل " و " ساميـــة "

صديقتان تعملان في مصرف واحد تحت رئاسة " سعيد " زوج " أمل " أحد المسئولين الكبار في المصرف ، و " سامية " معجبة " بسعيد " بيد أنها تخفي هذا الإعجاب بعد أن علمت أنه زوج صديقتها ، وحين تبدأ " أمل " وزوجها في البحث عن زوج " لسامية " ، وتفاتح صديقتها في هـذا الأمـر ، تراها عازفة عن الزواج مما أدهشها ، وتشعر " أمل " بالمرض فتبادر " سامية " إلى مصاحبتها في المنزل لمساعدتها والعمل على راحـتها ، مـتطوعة بخفض راتبها كي تستقطع جزءا من وقت العمل تقضـيه إلى جـوار صديقتها المريضة ، تموت " أمل " بعد أن توصي زوجها برعاية صديقتها ، وتوصي صديقتها برعاية زوجها ، ويتزوجان، الحكي في القصة هادئ ، تسير الأحداث في شكل تراكمي حتى تصل إلى النهاية التي يأتي فيها العنوان كما أراده المؤلف .

يـتكرر اسم " أمل " عند المؤلف في المجموعة ، وهذا يتفق بالطبع مع توجه شخصيات الأعمال كلها التي تؤكد بدورها أن تقديم المؤلف كان تعبيرا عن موقفه ورؤيته .

٩ – تـأتي قصـة " الحب والسيارة المهشمة " لتقف أمام الرغبة في التملك عند المرأة ، فحب التملك غريزة في الإنسان بيد أنها عند المرأة

أكثر قوة منها عند الرجل ، وهذا مـــا وقفت أمامه القصة ، فالزوج لم يكن يتوقع أن تصر زوجته على ألا توقع توكيلا له إلا بقيادة السيارة فقط ، وليس بملكيتها ، كان يظن أن الحب الشديـــد بينهمـــا سوف يكـــون فوق كل الشكليات ، على الرغم من أنها أشارت إليه مرة إلى أن الأخ أقرب من الزوج ، لأن الزوج يمكن أن يعوض ، وأشـــارت مستدركة أن الزوج المخلص لا يمكن تعويضه .

وشخصـــية الزوج هنا شخصية هادئة غير ملتوية لا تفهم الأمور فهما صحيحا إلا بعد أن يحدث شيء يؤكد له سوء فهمـــه للأمـــور ، وخاصة ما تفعله زوجته التي تظهر له الحب والمودة والإخلاص ، ولكن رغبتها في التملك أقوى عندها من هذه العواطف .

١٠- تقف قصة " البحث العلمي " أمام السوس الذي ينخر في عظام بعض أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ! إذ يسرق أحد الأساتذة رسالة ماجســـتير زميل له خارج البلاد ، لتعد رسالة دكتوراه لمبعث جاء من بلـــد شقيق لإعداد رسالته العلمية ، وما أقدم الأستاذ على هذه الفعلة الشـــنعاء إلا لأنه يغار من زميله الذي بالخارج ، وهو بفعلته هذه أتاح الفرصة " لابن علي صـــالح " طـــالب الدكتوراه المبعث ليقضي وقته

لاهيا بالقاهرة منغمسا في العبث واللهـــو ، البناء الفني يأخذ موقفا من هذا العفن الذي وجد له تربة في الجامعات .

١١- " الشمس طلعت " صورة ، وضع الكاتب فيها كل الحب والود والحـــنان بين الزوجين ، وضع في الفتاة كل الأوصاف الجميلة ؛ الثغر اللؤلـــؤي دائم الابتسام ، والعيون السوداء الكحيلة ، والأنف كنبتة الزهـــر ، صورة مثالية للفتاة الجميلة ، الزوج إذن اختارها أول الأمر لجمالها هذا ، ثم وجدها جميلة المخبر كما هي جميلة المظهر ، وهذا يجعلنا نـــرى أن المؤلف قد تدخل ، فماذا لو كانت الفتاة جميلة المخبر ، غير جمـــيلة المظهر ، لما تم الزواج ؛ لأن الزوج رآها جميلة المنظر وهو سبب اختيارها .

وبعد فلعل الكاتب قد أوقفنا أمام بناء فني فيه كثير من الدلالة ؛ إذ تمـــثل في بناء شخـــوص القصص كلها بعد واحد ، هو ما يرجوه المؤلف لشخوصه من العطاء والخير والتفاؤل ، فيما عدا قصة واحدة ، كانـــت الشخصـــية في العمـــل شخصية فيها الجانب المقابل من الشر المســـيطر على بنائهـــا ، جـــاءت الشخوص والبناء الفني للحدث في أسلوب هادئ يعبر تعبيرا صـــادقا عن المتغيرات في الحدث وفي بنـــاء

الشخصية ، وعن الثوابت التي يمكن أن يفهمها المتلقي من العمل الذي بين يديه .

أرجـــو لأخي الكريم الأستاذ الدكتور سعد أبو الرضا دوام العطاء الإبداعي .

أ . د . أحمد السعدني

الرياض في ١٤٢٤/١٢/٢٩هـ

لا شك أن الإبداع الأدبي من شعر وقصة ومسرح وغير ذلك من أجناس الأدب يُشبع عندنا – نحن الأكاديميين بشكل خاص – حاجة إلى البوح ، والإفصاح عما في النفس من الأحاسيس والهموم مما لا سبيل إلى تحقيقه ، أو التعبير عنه تعبيراً عميقاً ، في الدراسات العلمية أو البحوث الجامعية التي تشغلنا وتستنفد جهدنا في غالب الوقت .

إن الإبداع الأدبيَ إذن عند واحد مثل سعد أبو الرضا وغيره من الأكاديميين ليس ضرباً من الوجاهة الاجتماعية ، ولكنه همّ من الهموم الكثيرة الضاغطة على النفس ، ولا تجد لها – عند حَمَلَة القلم – في الأشكال التعبيرية الأخرى ما تجده في التعبير الإبداعي من قدرة وغنى .

وهذه المجموعة القصصية التي بين أيدينا تكشف عن جانب آخر من جوانب شخصية سعد أبو الرضا الفكرية ، فهو – وقد عرفناه باحثا جاداً ، وأستاذاً جامعياً متميزاً ، معنيّاً بهمّ التنظير للأدب الإسلامي – أديبٌ يمارس العمل الإبداعي ، ويندفع في مضايقه،

مشاركاً في التعبير عن بعض هموم المجتمع وقضاياه .

وهـــذه المجموعـــة ، التي يبدو بعضها أشبه بالمشاهد أو اللوحات السردية ، هي من الأدب الجادّ الذي يهتم الدكتور أبو الرضا بالتنظير له والكتابة عنه ، وقد توزّعها همان كبيران لا ينفصلان بطبيعة الحال ، هما : الهم القومي العربي ، والهم الاجتماعي الإنساني .

عـــبّرت القصتان " الحياة تتجدد " و " الله أكبر " عن هم الأمة العربية والإســـلاميـــة الكبير متمثلاً في قضيتهـــا المركزيـــة ، وهي القضيـــة الفلســـطينية ، والصراع الذي تخوضه هذه الأمة مع العدو الصهيوني الغاشم الذي غصب أرضها ، وشرّد شعبهـــا ، تدعمـــه قـــوى الشر العالمية .

تدور أحداث " الحياة تتجدد " في فلسطين المحتلة ، فتصور مشهدا من مشـــاهد انتفاضـــة إيمانيـــة باسلة ، هي مفخرة في تاريخ العرب الحديث ، يخوضها شعب أعزل يتفرّج عليه أشقاؤه وهو يواجه بالحجر بـــني صهيون المدججين بأفتك الأسلحـــة ، يواجـــه بأطفاله وصباياه وشيوخه وشبابه ، محولا في كل يوم جسدا من أجساد أبنائه إلى جحيم يزرع الرعب في قلوب هؤلاء الغاصبين الجبناء .

وتصـــور " الله أكـــبر " مشهدا من مشاهد الصراع بين العرب والصهاينـــة ما بين كارثـــة (١٩٦٧) وحرب رمضـــان تشرين الأول (أكتوبر) عام (١٩٧٣) التي حقق فيها العرب بفضل " الله أكبر " — وهـــي عـــنوان القصة — انتصارهم فأطلق سراح سجناء عرب كانوا معتقلين عند اليهود .

وأما الهم الاجتماعي والإنساني فقدم فيه سعد أبو الرضا شرائح حياتـــية مثلـــت جوانب مختلفة من السلوك البشري ، كالحذر الذي ينقلب إلى حدّ الوسوسة في " الرئيس والمفقودات " ، ثم تكون المفارقة التي قامت عليها العقدة " أن يؤتى الحذِر من مأمنه " .

وصـــوّرت " الحـــب والســـيارة المهشمة " سلوك زوجة جحود شكوك على الرغم من حسن معاملة زوجها إليها وتحقيق رغباتها .

ويـــبدو نص " بحث علمي " أشبه بمشهد سردي منه بقصة ، وقد عـــبّر عـــن مرض اجتماعي ، وهو الحقد والضغينة ، من خلال طالب يسطو على بحث علمي بمساعدة أستاذه المشرف ذاته ، لكي ينتقم هذا الأستاذ من زميله صاحب البحث لأسباب نجهلها ، ولكن يبدو دافعها الحقد والغيرة .

وتبـــدو " طلعت الشمس " لقطـــة شاعريـــة مؤثرة ، ولكن دور "الصديق" فيها لم يبدُ لي واضحاً ، أهو الذي كانت " الشمس " تأتيه ؟ وعندئذٍ فمجرى الحدث كله لا يبدو معقولاً ، أم أنه شاهد مطلع ، ولا داعي عندئذٍ – فيما أرى – لإقحامه في القصة أصلاً .

وعـــبّرت قصة " وفاء قبل الموت وبعده " عن قيمة إنسانية نبيلة ، تجلـــت في وفـــاء " سامية " لصديقتها " أمل " التي ساعدتها وأحسنت إليها ، فقابلت الأولى ذلك بالعرفان ، فوقفت إلى جـــانب صديقتهـــا " أمـــل " في مرضها العضال ، ثم عملت بوصيتها بعد موتها ، فوافقت عـــلى الاقتران بـــ " سعيد " زوجها " وفاء وتقديراً لأمل وجمعاً لشمل هذين الشتيتين .. "

***

ويقدم الدكتور سعد أبو الرضا لوحاته القصصية بأسلوب واضح مباشر يفصح عنه عنوان القصة نفسه أحياناً ، متجنباً التعمية والغموض اللذين أغرم بهما بعض الكتاب في هذا الزمان ، ولعله – في سبيل هذا الحرص على الوضوح ، يلح أحيانا على كثير من التفصيلات التي يمكن أن ترهق كاهل القصة القصيرة .

أرجو أن يجد القارئ الكريم في هذه المجموعة المتعة والفائدة ، وأن يتعرف جانبا آخر من جوانب شخصية سعد أبو الرضا ، الأكاديمي اللامع ، وهو جانب الإبداع القصصي ؛ إذ إن للقصة – بأشكالها كافة – حضوراً باهرا متميّزا في هذا العصر ، بسبب قدرتها الفائقة على تصوير الهم الإنساني ، والتعبير عن مشكلات المجتمع وقضايا الحياة ..

د . وليد إبراهيم قصّاب

الفهـــــرس

العنوان	رقم الصفحة
- تقديم	٢
١- الحياة تتجدد	٣
٢- الله أكبر ...	٧
٣- الرئيس والمفقودات	١٣
٤- "البنطلون" والزواج	١٨
٥- وفاء قبل الموت وبعده	٢٢
٦- الحب والسيارة المهشمة	٢٨
٧- بحث علمى	٣٣
٨- الشمس طلعت	٣٧
٩- السجن والقضية	٣٩
١٠- الرئيس والبنود السبعة	٤٢
- قراءة فى هذه المجموعة بقلم أ.د. أحمد السعدنى	٤٥
- قراءة أخرى بقلم أ.د. وليد قصاب	٥٣